بل ليعملوا ما أرادوا. وأما قوله أهل بدر ففيه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه
وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم. الزيادة: فيه التنكير للتعظيم في قوله ذكر في الموضعين
الأول تعظيم في المدح والثاني تعظيم في الذم وفيه القول بالموجب
حيث قال على لسان داود بأنه سلم لهم الذكر في الكلام ونسبه بلسان داود
الحسد أخبر أن أعداءه صلى الله عليه وسلم قالت لنا ذكر جميل وحظ في الذكر
جزيل وذا بعضهم موافقة المتكلم بهم وأشار إلى بعضهم على لسان داود بأمر ذمهم
وهذا أبلغ في الإنكار وأنكل من التصريح والله أعلم. قال:

إني لأرجو بنظمي فيه من الحكم ... رجاء كعب ومن ير علم يضم

اللغة: الرجاء بمعنى الأمل وهو المراد في البيت ويطلق بمعنى الخوف فمن الأول
قوله تعالى يرجون تجارة لن تبور ومنه قول كعب أرجو وآمل ومن الثاني قوله تعالى
وارجوا اليوم الآخر ويحتملهما قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه. قوله: بنظمي
النظم الجمع يقال نظمت اللؤلؤ في السلك إذا جمعته والمراد في البيت جمع مخصوص
وهو الشعر فقيل له نظم لأن الشاعر ينظم الكلمات فيه كنظم اللؤلؤ في السلك. قوله
كعب: هو كعب بن زهير بن أبي سلمى من رجال المزني وليس في العرب سلمى بضم السين
سواه وأبو سلمى ربيعة وكعب من فحول الشعراء وكذلك زهير أبوه وكذلك
عقبة بن كعب وهو المعروف بالمضرب وكذلك العوام بن عقبة وهو القائل

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ... ملاحة عيني أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة ... ألا حبذا أخلاقها وجديدها

وكان من حديث كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه مع جماعة
من الشعراء لفحشه في القول وكان بجير أخو كعب قد أسلم فكتب إلى أخيه
يخبره بذلك فخوف كعبا وضاقت عليه الأرض وكثر إرجاف عداته به فخرج حتى قدم

المدينة

المدينة فنزل على رجل من جهينة فجاء به الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند صلاة الصبح فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة أشار الجهني إلى كعب
وقال له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم كعب وجعل يده في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن كعبا قد جاء تائبا مسلما مستأمنا فهل
تقبل منه فأجيئك به إذا جئتك به فقال نعم فقال أنا يا رسول الله كعب فوثب إليه
رجل من الأنصار فقال دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعه عنك فإنه جاء تائبا نازعا فقام كعب فأنشد قصيدته فلما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلع عليه بردته واشتراها منه معاوية بعشرة آلاف
درهم وبقيت الخلفاء يتوارثونها إلى أن دخل التتار بغداد على
المستعصم بالله آخر الخلفاء بها سنة ست وخمسين وستمائة فلم يعلم للبردة خبر بعد
ذلك والله أعلم بحقيقة ذلك. قوله لم يقض يوما من النظم وقد تقدم.
الإعراب: بنظمي متعلق بأرجو وفيه من الحكم متعلق بنظمي والضمير في من الحكم
وفيه ضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. الاستشهاد: فيه استشهاد
بالشعر وهو التلميح بقصيدة معروفة كما لا يخفى والقصيدة بانت سعاد التي لكعب
بن زهير وهذه القصيدة لها الشهرة الرائعة والحكم الذي لم يوجد له ناسخ
أنشدها كعب في مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم بحضرته وحضرة أصحابه رضي الله
عنهم وتوسل بها موصلا إلى العفو عن عقابه فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقه وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه في نفسه وأمله مراده
وذلك بعد إهدار دمه وما سبق منه من كلمه فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت
محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز
على الشعر الأمل وجوز جميع الشعراء بما سلكوه ووصلوا أمرهم فيما ملكوه حتى ثبتها
بعض شيوخنا بأن سكروتي بإسناده أن بعض العلماء كان لا يختم مجلسه إلا بقصيدتها

Copyright © King Saud University